

الدرس السادس
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اللهم يا ربنا علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

يقول رحمه الله تعالى :

وفي «صحيح مسلم» من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذاق طعم الإيمان؛ من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً».

وَالرَّضَا بِذَلِكَ يَقْتَضِي؛ الْفَرَحَ بِذَلِكَ، وَالشُّرُورَ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لَهُ، وَحُسْنَ تَدْبِيرِهِ وَأَفْضِيَّتِهِ عَلَيْهِ. وَيَرْضَى بِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَيَفْرَحُ بِهِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ الْمَنِّ، حَيْثُ رَضِيَ اللَّهُ لَكَ الْإِسْلَامَ، وَوَفَّقَكَ لَهُ، وَاصْطَفَاكَ لَهُ، وَاصْطَفَاهُ لَهُ.

وَيَرْضَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا؛ إِذْ هُوَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ، وَأَعْلَاهُمْ فِي كُلِّ صِفَةٍ كَمَالٍ، وَأُمَّتُهُ وَأَتْبَاعُهُ أَكْمَلُ الْأُمَمِ وَأَعْلَاهُمْ، وَأَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَالرَّضَا بِنُبُوَّةِ الرَّسُولِ وَرِسَالَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُثَمِّرُ الْإِيمَانَ، وَيَذُوقُ بِهِ الْعَبْدُ حَلَاوَتَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ

لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣١﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ] ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ . فَكَيْفَ لَا يَرْضَى الْمُؤْمِنُ بِهَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الَّذِي أَقْسَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَعَلَى خُلُقِي

عَظِيمٍ؟!

وَأَشْرَفُ مَقَامٍ لِلْعَبْدِ؛ انْتِسَابُهُ لِعُبُودِيَّةِ اللَّهِ، وَاقْتِدَاؤُهُ بِرَسُولِهِ، وَمَحَبَّتُهُ وَأَتْبَاعُهُ، وَهَذَا عَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَبِاتِّبَاعِهِ تَحَقُّقُ الْمَحَبَّةِ وَالْإِيمَانِ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ : ٣١].

الشرح :

قال رحمه الله تعالى : (وفي «صحيح مسلم» من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذاق طعم الإيمان؛ من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً» .)

هذا الحديث العظيم أورده الشيخ رحمه الله تعالى لما فيه من بيانٍ وتقريرٍ لحقيقة الإيمان ، وأن الإيمان يقوم على أصولٍ عظيمة ، وأسسٍ متينة ، لا قيام له إلا عليها ، وأن هذه الأصول كلما قوي شأنها في قلب العبد وجد من حلاوة الإيمان وطعمه ولذته بحسب ذلك ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ؛ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا». هذه أصولٌ ثلاثة عظيمة جاء في الحديث أن المرء إذا توفاه الله سبحانه وتعالى وأدرج في القبر يسأل عنها ، يأتيه ملكان فيجلسانه ويقولانه من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وهذا يدل على عظم هذه الأصول الثلاثة ، وعظم مكانتها وأن العبد ينبغي عليه في هذه الحياة أن يجاهد نفسه على تحقيق الإيمان بها حتى يبلغ هذه الرتبة العظيمة وهي ذوق حلاوة الإيمان وطعمه ، وهذا يفيد أن الإيمان له حلاوة وله طعم ، وله ذوقٌ جميل ، لكنه لا يجده إلا بتحقيق هذه الأمور الثلاثة الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً .

والرضا بالله رباً : أي رضا العبد بربه سبحانه وتعالى وهذا النوع من الرضا تعلقه بالأسماء والصفات ، لأن الرضا الذي هو مأمورٌ به العبد ومطلوب منه نوعان : رضا بالله ، ورضا عن الله ، الرضا بالله كما جاء في هذا الحديث [من رضي بالله رباً] والرضا عن الله ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الرضا بالله تعلقه بالأسماء والصفات والمعرفة بالله

وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وقوة الإيمان بذلك ، وأما الرضا عن الله سبحانه وتعالى فتعلقه الثواب والجزاء والإنعام والإكرام ، والرضا بالله أصلٌ والرضا عن الله فرعٌ ، الرضا بالله تبارك وتعالى أصل ، والرضا عنه جل وعلا فرعٌ عن هذا الأصل ، تعلق الأول بالأسماء والصفات ، وتعلق الثاني بالثواب والإنعام والإكرام ، وهذا يفيد أن العبد إذا وفق للرضا بالله سبحانه وتعالى أثمر ذلك فيه لذة وسعادة وهناءة في الدنيا والآخرة ، وهي التي ينشأ عنها الرضا عنه سبحانه وتعالى ، والرضا بالله رضا به سبحانه وتعالى رباً خالقاً رازقاً مديراً لهذا الكون ، ورضاً بأسمائه الحسنى ، وصفاته العظيمة الدالة على جلاله وكماله ، وعظمته سبحانه وتعالى ، ثم ما ينبنى على ذلك ويترتب عليه من إخلاص للدين له ، وإفراد له سبحانه وتعالى بالعبادة ذلاً وخضوعاً وانكساراً ورجاءً وطمعاً وقوة إقبال على الله عز وجل ، والرضا بالإسلام ديناً أي بهذا الدين الذي رضي الله لعباده ولا يرضى لهم ديناً سواه ، كما قال جل وعلا ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ قال جلا وعلا : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي

الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ وقال جل وعلا : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ فهذا الدين الذي رضي الله سبحانه وتعالى

لعباده ولا يرضى لهم ديناً سواه ، لا يذوق العبد طعم الإيمان حتى يرضى بهذا الإسلام ديناً له يدين الله سبحانه وتعالى به ويكون تقربه إلى الله وطلبه لثوابه جل في علاه من خلال هذا الدين الذي رضي الله وشرعه جل وعلا لعباده ، والرضا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يكون بمحبته محبةً مقدمةً على محبة النفس والوالد والولد مثمرةً لإتباعه والسير على منهاجه ولزوم سنته صلوات الله وسلامه عليه كما قال الله جل وعلا : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وهذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله دون أن يتبع هدي النبي

الكريم عليه الصلاة والسلام بأن دعواه كاذبة وأن المحبة الحقيقية الصادقة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لا بد فيها من إتباع له ، وسيرٍ لمنهاجه ، وأما من ادعى لمحبة النبي عليه الصلاة والسلام وهو يعصي رسول الله صلى الله

عليه وسلم فيما يدعو إليه من طاعة الله ، وفيما ينهى عنه من المحرمات فهذا دليل على عدم صدق المحبة أو ضعفها في قلب المرء .

قال رحمه الله تعالى :

وفي «صحيح مسلم» - مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ».

فَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الْجَامِعَةِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِالْإِيمَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، ثُمَّ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ قَوْلًا وَعَمَلًا، فِعْلًا وَتَرْكًا؛ فَقَدْ كَمَلَ أَمْرُهُ، وَاسْتَقَامَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَرُجِّيَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ مَنْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٣٠
﴿مَنْ أُولِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ٣١ ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ٣٢ ﴿

[سُورَةُ هُذَلَّتْ]

الشرح :

وهذا الحديث ؛ حديث سفيان الثقي رضي الله عنه حديث عظيم في بيان حقيقة الإيمان ، وأن الإيمان عقيدة وشرعية ، علم وعمل ، ليس الإيمان شيئاً يقوم في القلب ولا يكون له أثر في جوارح العبد ، بل الإيمان أمر يقوم في قلب المؤمن ، وأعمالٌ صالحة وطاعاتٌ زكية تظهر على جوارحه ، فالإيمان عقيدة وشرعية ، الإيمان قول وعمل ، ويقوم الإيمان على ذلك ، ليس الإيمان اعتقاداً بلا عمل ولا عمل بلا اعتقاد ، بل هو قائم على ذلك على الاعتقاد والعمل على العلم والعمل ، وهذا هو دين الله عز وجل الذي رضي له عباده ولا يرضى لهم ديناً سواه .

قال : (قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ)، أراد كلمة جامعة مستوعبة للدين كله ، فقال عليه الصلاة والسلام: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ» ، قل آمنت بالله : أي بقلبك معتقداً ، وبلسانك لافظاً وناطقاً ، باللسان تلفظاً ونطقاً ، وبالقلب إيماناً واعتقاداً ، وهذا هو الأصل في القول ، إذا أطلق يراد به قول القلب وقول اللسان ، قول القلب : الإعتقاد ، وقول اللسان : النطق والتلفظ .

قال : قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ» أي على طاعة الله ، فعلاً للأوامر وتركاً للنواهي إلى أن يتوفاك الله سبحانه وتعالى على ذلك ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ» فليس الإيمان مجرد إعتقاد في القلب دون أعمال لأنه قال له (ثم استقم) أي استقم على الأعمال والطاعة والعبادة لله ، إلى أن يتوفاك الله ، مثل قول الله جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٣٣ ﴿

أي داوموا على الأعمال والطاعات والعبادات إلى أن يتوفاكم الله ، ومثل قوله : ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩١)

أي الموت ، أي داوم على طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته إلى أن يتوفاك الله جل وعلا .

ثم أورد رحمه الله الآية الكريمة وفيها عظيم ثواب وجميل مآب من آمن ثم استقم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وهذا التنزل يكون في لحظات حرجة وعصية عندما يأتي ملك

الموت ومن معه من أعوان لقبض روح هذا الإنسان ، فتلك اللحظات التي يفارق فيها هذه الحياة الدنيا ويرحل إلى الدار الآخرة ، لحظات عصية ينتهي فيها العمل ، لا مجال بعد ذلك لا لصلاة ولا صيام ولا غير ذلك من أعمال ، إذا مات ابن آدم انقطع عمله ، ففي تلك اللحظات تنزل الملائكة ، تنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة قائلين ﴿

الْأَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي أن هؤلاء ملائكة رحمة يتنزلون على هذا العبد في هذه

اللحظات العصية مبشرين ومهنيين ، ومطمئنين ﴿الْأَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ وقوله ﴿الْأَخَافُوا﴾ أي مما أنتم قادمون

عليه ، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ مما أو على أنتم مفارقون له من أهل وأولاد ، فهم في حفظ الله سبحانه وتعالى وصلاح الآباء له

نفع بتوفيق من الله سبحانه وتعالى للأبناء ، ﴿الْأَخَافُوا﴾ أي مما أنتم قادمون عليه ، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أنتم تاركون

له من أهل وولد ، فهم في حفظ الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ نحن أولياؤكم في الحياة

الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ ولهذا يظهر على

بعض من عرف بالديانة والاستقامة والمواظبة على طاعة الله سبحانه وتعالى عند مفارقتها لهذه الحياة يظهر على وجهه من السرور شيئاً عظيماً حتى إن بعض الناس بعد وفاته إذا نظرت إليه ترى وجهاً مسروراً فرحاً مغتبطاً ، ولعل ذلك والله تعالى أعلم من آثار هذه البشارة ، رأيتم كيف أن الشخص عندما يبشر بأمر عظيم مفرح له غاية الفرح كيف يظهر على وجهه من السرور والهناء والبشر والفرح ، قال : ﴿الْأَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠)

تقبض روحه ويفارق هذه الحياة وهو على هذه الحال الجميلة الطيبة من البشر والفرح والسرور والغبطة .

رزقنا الله أجمعين بمنه وكرمه وجوده وفضله الاستقامة على طاعة الله وحسن الختام .

قال رحمه الله تعالى :

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ- فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، حِينَ وَفَدُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ قَالُوا: «مُرْنَا بِأَمْرِ فَضْلٍ،

نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ». وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرِيَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَدَهُ، قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدَهُ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ». وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: «عَنِ الْحَتَمِ، وَالذُّبَابِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُزَفَّتِ»، وَقَالَ: «احْفَظُوهُمْ»، وَأَخْبَرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»

فَهَذَا -أَيْضًا- صَرِيحٌ فِي إِدْخَالِهِ الشَّرَائِعَ الظَّاهِرَةَ بِالْإِيمَانِ، مِثْلَ: الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَإِعْطَاءِ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ.

وَكُلُّ هَذَا يُفَسِّرُ لَنَا الْإِيمَانَ تَفْسِيرًا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ، وَأَنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْعَقَائِدُ الْقَلْبِيَّةُ، فَتَدْخُلُ فِيهِ الْأَعْمَالُ الْبَدَنِيَّةُ، فَكُلُّ مَا قَرَّبَ إِلَى اللَّهِ -مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَاعْتِقَادٍ- فَإِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

الشرح :

وهذا الحديث العظيم حديث وفد عبد القيس في ذكر خبر مجيئهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم كفار مظر وكانوا لا يستطيعون المجيء إليه صلى الله عليه وسلم إلا في الشهر الحرام ، ولهذا قالوا كما في الصحيح قالوا : [إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مظر ، وإننا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، «مُرْنَا بِأَمْرِ فَضْلٍ، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ» انظر يا رعاك الله هذا السؤال ما أعظمه ، وما أصدقه ، (نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ) وهذا الذي قاله هؤلاء أو قاله هذا الوفد المبارك ، ينبغي أن يكون مقصداً للإنسان في أسئلته وتفقهه في أمور الدين وسؤاله لأهل العلم ينبغي أن يكون الغرض من الأسئلة العلمية أن يدخل السائل الجنة وأن يخبر به من وراءه ، وهذا هو صلاح النية في طلب العلم ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله : [العلم لا يعدله شيء إذا صلحت النية] قيل : وما صلاحها ؟ قال : [أن تنوي به رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك] فالأصل في الأسئلة العلمية التي تطرح على أهل العلم أن يكون هذا الغرض منها ، أن يرفع المرء الجهل عن نفسه فيصلح ويستقيم ويعمل بطاعة الله فيدخل الجنة ، وأن يبلغ الناس وأن يدلهم على هذا الخير الذي هدي إليه ومن به عليه ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا

بِالصَّبْرِ ۝﴾ قالوا : «مُرْنَا بِأَمْرِ فَضْلٍ، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ». وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرِيَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ،

وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَدَهُ، قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدَهُ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»

هذا الحديث مثل ما قال الشيخ رحمه الله : (يُفَسِّرُ لَنَا الْإِيمَانَ) ، هذا الحديث : (يُفَسِّرُ لَنَا الْإِيمَانَ تَفْسِيرًا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ، وَأَنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْعَقَائِدُ الْقَلْبِيَّةُ، فَتَدْخُلُ فِيهِ الْأَعْمَالُ الْبَدَنِيَّةُ،) لأنه قال : «أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدَهُ؟». قَالُوا: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ» قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ» وهذه أعمال : الصلاة والصيام والزكاة ، هذه كلها أعمال وجعلها النبي صلى الله عليه وسلم داخله في مسمى الإيمان ، فهذا يفسر لنا الإيمان كما أنه اعتقاد بالقلب فهو كذلك أعمال يقوم بها العبد بدنه .

وانتبه إلى فائدة مهمة جداً في تفسير الإيمان ، لما قال النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الوفد : (أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ) أليس القوم من أهل اللسان العربي ؟! ويعرفون مدلولات الألفاظ ؟ أليسوا من أهل اللسان العربي ويعرفون مدلولات

الألفاظ من حيث الدلالة اللغوية ؟

قال : « أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ ». قَالُوا: « اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ » لم يجيبوا على هذا السؤال في ضوء ما يعلمونه من دلالة اللغة ، ولا أيضاً في ضوء ما قد يقوم في القلب من ظنون أنها هي المعاني أو المعنى المراد ليقينهم أن الإيمان حقيقة لا تعلم إلا من خلال الوحي ، الإيمان حقيقة لا تعلم إلا من خلال الوحي ، ولهذا كل من يفسر الإيمان بغير الوحي ، بغير الاعتماد على الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى فإنه يخطيء ولا بد ، وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ يعني قبل نزول هذا الوحي ، ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ والمراد بالإيمان في قوله : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ المراد به تفاصيل الشرائع التي هي داخله في مسمى الإيمان ، هذه التفاصيل لا تعرف إلا

من خلال شرع الله ووحيه تبارك وتعالى وتنزيله ، ولهذا لما قال النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الوفد : « أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ ». قَالُوا: « اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ » الإيمان بالله لا يعلم إلا من طريق الوحي ، كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

قال : « شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ » وهذه المذكورات أعمال ظاهرة وكلها أدخلها النبي صلى الله عليه وسلم أو عدها النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان ، وأنها داخله في مسمى الإيمان ، وأن الإيمان يتناولها ، فكما أن الإيمان عقيدة في القلب ، فالإيمان أيضاً أعمال ، الصلاة إيمان ، والصيام إيمان ، والزكاة إيمان ، وحج البيت إيمان ، وجميع الطاعات التي أمر الله سبحانه وتعالى بها إيمان ، والأمر كما ذكر الشيخ هذا الحديث العظيم يفسر لنا الإيمان تفسيراً يزيل الإشكال .

قال رحمه الله تعالى :

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

فَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَاطِنِ، وَالْعَطَاءُ وَالْمَنَعُ فِي الظَّاهِرِ، وَاشْتَرَطَ فِيهَا كُلُّهَا: الْإِخْلَاصُ، الَّذِي هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَلُبُّهُ وَسِرُّهُ. فَالْحُبُّ فِي اللَّهِ: أَنْ يُحِبَّ اللَّهُ، وَيُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ؛ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَحْوَالِ، وَيُحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ؛ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ: أَنْ يُبْغِضَ كُلَّ مَا أَبْغَضَهُ؛ مِنْ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَعِصْيَانٍ، وَيُبْغِضَ مَنْ يَتَّصِفُ بِهَا، أَوْ يَدْعُو إِلَيْهَا. وَالْعَطَاءُ: يَشْمَلُ عَطَاءَ الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ﴾

[سُورَةُ الْبَلَقَةِ] . وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ مَا أَمَرَ بِهِ الْعَبْدُ، لَا يَخْتَصُّ بِالْعَطَاءِ الْمَالِيِّ، بَلْ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَكَذَلِكَ مُقَابِلُهُ: الْمَنَعُ ، وَبِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ يَتِمُّ لِلْعَبْدِ إِيْمَانُهُ وَدِينُهُ.

الشرح :

وهذا الحديث ؛ حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ) أي مخلصاً لا يبتغي بذلك إلا وجه الله ، (وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ) هذا الحديث من الأحاديث

العظيمة المفسرة للإيمان ، وأن الإيمان يتناول ما يقوم في القلب ويتناول ما يكون على الجوارح من أعمال ، أو ما تقوم به الجوارح من أعمال ، فهو يتناول هذا وهذا ، ولهذا قال الشيخ رحمه الله : (فَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَاطِنِ، وَالْعَطَاءُ وَالْمَنْعُ فِي الظَّاهِرِ) والنبي صلى الله عليه وسلم قال في تمام الحديث : من قام في هذه الأمور فقد استكمل الإيمان ، إذن الإيمان في القلب والظاهر ، ليس الإيمان في القلب فقط بل في القلب والظاهر ، ولا يستكمل الإيمان إلا بصلاح الظاهر والباطن ، صلاح القلب والجوارح ، قال : (فَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَاطِنِ، وَالْعَطَاءُ وَالْمَنْعُ) في الجوارح (فِي الظَّاهِرِ) قال : (وَاشْتَرَطَ فِيهَا كُلَّهَا: الْإِخْلَاصُ، الَّذِي هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَكُبُّهُ وَسِرُّهُ). ثم بين رحمه الله أن الحب في الله وهو منبني على حب الله سبحانه وتعالى ، وقد مر معنا الحديث [ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يحب الله ورسوله ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما] وهذا أصل ، ثم ذكر الفرع [أن يحب المرء لا يحبه إلا الله] قال : (فَالْحُبُّ فِي اللَّهِ: أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ، وَيُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ؛ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَحْوَالِ، وَيُحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ؛ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ). هذا هو حقيقة الحب في الله ، الحب في الله ليس للأشخاص فقط ، الحب في الله للأعمال والأوقات والأزمنة والأحوال والأشخاص ، تحب الأوقات الفاضلة في الله ، محبة في الله ، لعظيم شأنها ولاصطفاء الله لها ، تحب الأعمال الفاضلة والطاعات الزاكية ، تحب من أطاع الله واستقام على شريعته سبحانه وتعالى محبة في الله ، متقرباً بهذه المحبة إلى الله سبحانه وتعالى ، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، كما جاء بذلكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ: أَنْ يُبْغِضَ كُلُّ مَا أَبْغَضَهُ؛ مِنْ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَعَصْيَانٍ، وَيُبْغِضَ مَنْ يَتَّصِفُ بِهِ) أما من كان كافراً الكفر الأكبر الناقل من الملة فله بغض لا حب معه ، وأما من كان مؤمناً مرتكباً للكبائر أو شيء من الكبائر أو لبعض المعاصي فيما دون الكفر فإنه يحب من وجهه ويبغض من وجهه ، يحب على ما عنده من إيمان ، ويبغض على ما عنده من فسوق وعصيان ، قال : (وَالْعَطَاءُ: يَشْمَلُ عَطَاءَ الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا أُمِرَ بِهِ) قوله : (وَأَعْطَى لِلَّهِ)، ليس مختصاً ببذل المال والصدقة بالمال بل هو يشمل كما قال الشيخ : (عَطَاءُ الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا أُمِرَ بِهِ) ففعل الأوامر كلها والعبادات كلها هذا من العطاء في الله وسخاء النفس وبذلها في سبيل الله تقرباً إليه جل وعلا ، قال : (وَالْعَطَاءُ: يَشْمَلُ عَطَاءَ الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا أُمِرَ بِهِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى

وَأَتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنِيَرُهُ لِلْسُرَى ۝ ۞

المراد بـ (أعطى) أي من نفسه الطاعة والعبادة والتقرب إلى الله جل وعلا ، قال : (وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ مَا أُمِرَ بِهِ الْعَبْدُ، لَا يَخْتَصُّ بِالْعَطَاءِ الْمَالِيِّ) العطاء المالي جزء من هذا العطاء ، قال : (وَكَذَلِكَ مُقَابِلُهُ: الْمَنْعُ)، المنع في الله ، أي يمنع نفسه من كل ما نهاه الله عنه ، متقرباً بمنع نفسه عن ذلك إلى الله عز وجل ، يمنع نفسه عن الفواحش عن المحرمات عن الكذب عن الغش ، عن غير ذلك لله ، متقرباً بذلك إلى الله ، وهذا يفيد فائدة مهمة في بيان الإيمان ، أن الإيمان كما يدخل فيه العطاء لأجل الله فإنه يدخل فيه المنع لأجل الله ، منع النفس من ارتكاب المحرم هذا إيمان ، وسيأتي معنا قول النبي عليه الصلاة والسلام [لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن] وهو يفيد أن ترك المحرمات داخل في مسمى الإيمان ، ترك المحرمات من أجل الله تقرباً إليه وطلباً لرضاه وخوفاً من عقابه سبحانه وتعالى هذا داخل في مسمى الإيمان ، قال : (وَبِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةُ يَتِمُّ لِلْعَبْدِ إِيْمَانُهُ وَدِينُهُ). أي كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث : (فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .